الباحث : الدكتور حامد مردان السامر

قسم اللغة العربية

كلية الآداب /  جامعة البصرة

                                     **التمركز حول الجملة**

     أثمرت الثقافة الغربية الحديثة أنساقا معرفية عديدة أسهمت إسهاما فاعلا في بلورة معطيات كثيرة كشفت عن مرجعيات ايديولوجية وفكرية يمكن رصدها عبر تحليل أنساق هذه الثقافة من أجل البحث عن أهدافها المضمرة التي تم طمسها وتمويهها  تحت طيات الأنساق اللغوية المؤدلجة التي تعلن شيئا وتخفي شيئا آخر .

       ولعل أبرز منجزات الثقافة الغربية هو حقل اللسانيات الوظيفية الذي يحاول حصر مقارباته في الجملة ، فهذا الاتجاه يحدد الجملة بوصفها ( أكبر وحدة لسانية قابلة للوصف النحوي) . وسوف تصبح هذه المقولة التي تنسب الى (بلومفيلد ) هي الحد الذي تدور حوله أغلب الدراسات اللسانية ، ويبرر هذا الاتجاه السلوك اللساني الذي يقف عند الجملة بالخشية من الفوضى والاضطراب وانهيار الحدود وتلاشيها بين الجمل مما يؤدي الى إنتاج رؤية لسانية غامضة ومضطربة وغير علمية .

         فهل كانت هذه المبررات كافية للانغلاق عند حدود الجملة ؟ وهل هي مقنعة ومقبولة في هذا الصدد أم إنها كانت تمويها ايديولوجيا يكمن خلفها  بعد فكري مضمر يحركها ويوجهها من وراء الستار ؟.

          ويمكن القول إن المحاولات اللسانية الأولى حاولت أن تتمترس داخل حدود الجملة وتختزل النصوص الى مجموعة من الجمل المتشظية التي يمكن دراستها بشكل مفرد ومنفصل ثم تعميم هذه النتائج على الجمل الباقية ، وقد أنتج  هذا الإجراء

 نحوا وظيفيا متمركزا حول الجملة لايقوى على مغادرتها أو التملص من معياريتها الصارمة كما حاولت هذه المحاولات غلق الباب بوجه المقاربات النصية التي تتمرد على إطارها المعياري المحدود .

            وقد حاول بعض اللسانيين التمرد على النسق الثقافي المغلق الذي أسسته اللسانيات الوظيفية ومنهم دريسلر وديبو غراند وفان دايك ، فقد حاول هؤلاء الإنعتاق من قيود اللسانيات الوظيفية القائمة على الجملة ، وحاولوا اقتراح منهجية نصية تتجاوز حدود الجملة الى متتالية الجمل ، لاعتقادهم إن التواصل الحواري الانساني لايتجلى إلا عن طريق النصوص وليس عن طريق الجملة .

        والإشكال الذي يحاول البحث طرحه هو : لماذا تصر اللسانيات الوظيفية في بعض طروحاتها على الانغلاق عند حدود الجملة ؟ وهل هذا السلوك كان عفويا وبريئا أم كان اتجاها مؤدلجا سعى الى تثبيت ركائز العقلية الغربية التي ينحدر منها وينتمي الى أفقها الفكري ؟.

             ويحاول البحث التوغل في أنساق الثقافة الغربية المضمرة ، والولوج في متاهاتها الفكرية التي تسعى الى طمسها وإخفائها ، لذا يحاول البحث الكشف عن الإنساق الايديولوجية المضمرة التي تهدف الى ترسيخها عبر التمركز حول الجملة التي أنتجتها اللسانيات الوظيفية ، وقد يكون هذا التمركز مكونا من مكونات التمركز العقلي الذي أفرزته الحضارة الغربية ويسعى الى الاحتكار المعرفي الذي يؤدي الى القمع والهيمنة والتسلط .